الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السابع – السنة الثانية 1990

الفوانيس

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy

التشيع

نشوءه مراحله مقوماته*

للسيد عبد الله الغريفي

تعتبر قضية التشيع والشيعة التي تنتظمها عقيدة «الإمامة» واحدة من القضايا الكبيرة الأهمية في الإسلام وتأريخه ، كونها تشكّل جزءاً لا يتجزأ من بُنيته العقائدية والفكرية والسياسية والإجتماعية وكونها تمثل أيضاً رؤية تقول بأنّها الصيغة الأسلم والأصح لفهم الإسلام وتجسيده بأصوله وأركانه وفروعه ، وقد تحددت هذه الرؤية في أصل نشوء التشيع بالإستناد إلى مبادىء الإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإلى نهج وممارسة الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام ومكانتهم في الإسلام .

إنّ كثيراً من الدراسات والبحوث وفي مختلف المجالات قد كتبت عن التشيع والحالة الشيعية التي تجسده ، منها ما كتبها الشيعة أنفسهم ، ومنها ما كتبها آخرون ، من مواقع فكرية وإنتماءات مذهبية مختلفة ، وهو الأمر الذي يدلل وبصرف النظر عن مضمون تلك الكتابات من حيث موضوعيتها أو عدم موضوعيتها ، ومقدار قيمتها العلمية ، على الأهمية الكبيرة لهذه القضية في بُنية الإسلام والمجتمع الإسلامي .

لكن وبالرغم من ذلك فأنّ هذه القضية كانت وما تزال ، وستظل بحاجة دائمة إلى المزيد من الدراسات والبحوث التي تعمق مضمون التشيع وركائزه وتحقيق المزيد من إستجلاء معالمه ودلالاته منذ نشوئه وحتى الآن ، ومن ثم تجيب على الأسئلة والقضايا التي تطرحها المسيرة المتواصلة للحياة بمتطلباتها ومستجداتها ، هذا فضلاً عما تؤديه من دور في توضيح وتصحيح الكثير من المواقف والنظرات الخاطئة ازاء التشيع والحالة الشيعية .

إنّ هدف هذا البحث هو المساهمة في دراسة التشيع والحالة الشيعية التي تجسده في جذورها ومنطلقاتها ، وفي ركائزها ومقوماتها ، وفي مسارها وحركتها وامتداداتها .

---

* للعلامة الغريفي دراسة مستفيضة فريدة في بابها تحمل العنوان المذكور وما تزال مخطوطة ، وهذه مقدمتها وفيها عرض لاهم ما جاء في الكتاب النفيس الذي نرجو ان يرى النور قريباً .

غير أنّ هذا النوع من الدراسات ربّما يثير بعض الإشكالات والإعتراضات التي ترىٰ في هذا النوع من الدراسات أنّه يحمل صبغة مذهبية خاصة ، لا معالجة لجزء من بنية الحالة الإسلامية العامة ، ومن هذه الإعتراضات أو الإشكالات :

أولاً : إنّ الطروحات المذهبية تكرّس الحالة الخلافية بين المسلمين على كل المستويات الفكرية والشعورية والإجتماعية والسياسية .

ثانياً : إنّ تأصيل الحالة المذهبية سيؤدي إلى بروز سلبيات كبيرة تتناقض بشكل واضح مع المشروع الإسلامي التوحيدي الذي بدأ تحركه يأخذ زخماً جديداً بانبعاث الصحوة الإسلامية الجديدة .

ثالثاً : إنّ التعاطي مع القضايا والمفردات المذهبية يضعنا أمام أجواء منغلقه ، تصادر حالات الإنفتاح والتقارب والتفاهم وتعمّق الحواجز الفكرية والنفسية داخل الأمة .

رابعاً : إنّ معالجة هذا النوع من الموضوعات يستثير حساسيات تاريخية ، جديرة بأن تنسىٰ وتطوىٰ ملفاتها في ظل الظروف الإستثنائية الصعبة التي تمر بها أمة الإسلام .

خامساً : إنّ مسألة الإمامة والخلافة هي قضية تاريخية لا جدوى أو لا مردودات عملية من إثارتها وتناولها في واقعنا المعاصر .

سادساً : إنّ التأكيد على الهوية الإنتمائية المذهبية يولّد في الذهنيات حالة التخلي عن الهوية الإسلامية العامة ويخلق في وعي الآخرين هذا اللون من الفهم .

إنّ هذه الإعتراضات والإشكالات ورغم الوجاهة التي تبدو فيها ، وحق أصحابها في التعبير عنها وإثارتها ، لكنها لا تملك قوة الدليل والحجة للبرهان عليها ، ولتوضيح ذلك نشير إلى الأسباب التالية :

(١) لا يمكن تجميد حالات الخلاف والتوتر في داخل الأمة إلّا من خلال خلق جو من الحوار الموضوعي الواعي ، وفي ظل هذا الحوار المنفتح تتحول الكثير من بؤر التوتر إلى نقاط هادئة ، وتتحرك حالات الخلاف في إتجاه التلاؤم والوفاق .

إنّ غياب الحوار الهادف يدفع بالكثير من حالات الخلاف إلى مواقع المواجهة ، ويكرّس عوامل التوتر والتأزم والتشتت في داخل الأمة .

وإنّ الخوف من إثارة مسألة الإمامة التي هي الناظم لقضية التشيع ، خشية إستثارة ، تاريخ طويل من الخلافات والصراعات والحساسيات أمر لا مبرر له وذلك لعدة إعتبارات :

١ ـ إنّ من القصور إعتبار الحديث عن الإمامة ودراستها في التصور الشيعي هو أمر يثير الخلاف كونها مسألة واقعية وموجودة في البُنية الإسلامية ، تماماً كما هو الحال في الحديث عن

مسألة الخلافة ودراستها وإنّ مسألة الإمامة كما الخلافة تطرح مسألة القيادة في الإسلام ، وهي مسألة كبيرة الأهمية ، بل مسألة المسائل .

٢ ـ إنّ أساليب المعالجة والدراسة لأمثال هذه المسائل ، غالباً ما تكون هي المسؤول عن كثير من الإثارات والحساسيات والخلافات ، وليس المسائل نفسها ، فمتى ما توافرت تلك الأساليب والمعالجات على الموضوعية والمنهجية فإنّ عوامل الإثارة والتوتر تتجمد وتقف .

٣ ـ إنّ الخلافات التي تتحرك في الساحة الإسلامية يقف وراءها عدة عوامل :

أ ـ نقص أو قلة المعرفة والمعلومات .

ب ـ التعصب .

ج ـ العناصر السيئة أو عديمة المسؤولية في الأمة .

د ـ السياسات المنحرفة .

هـ ـ القوى الإستكبارية الكافرة .

فإذا طوقت هذه العوامل ضمنا لمكوّنات الوحدة الإسلامية أن تتحرك في الأجواء الطبيعية الصالحة ، وأعطينا للحوادث الفكرية مساراتها الموضوعية النظيفة .

(٢) إنّ الساحة الفكرية المعاصرة تزخر بألوان من النتاجات ذات الصيغة التشويهية للحالة الشيعية مما يسبب تشويشاً للمفاهيم والتصورات ، وبالتالي يعقّد الصيغ التوحيدية في داخل الأمة ، فلا بد من طرح الرؤى الصحيحة للمسألة وتوضيحها وإزالة الإشكالات المزروعة في الذهنيات لخلق الآفاق المنفتحة أمام الإتجاهات الخيرة الطامحة إلى تعميق الأخوة بين أبناء الأمة الواحدة .

(٣) إنّ مسألة الإمامة التي تنتظم قضية التشيع مسألة بالغة الأهمية والخطورة على عدة أصعدة :

أولاً : الصعيد الفكري :

فمسألة الإمامة تشكل جزءاً هاماً في بنية الإسلام الفكرية ، فالمنهجية الشمولية في الدراسات الإسلامية تفرض التعاطي مع هذه المسألة التي تملك عمقها في داخل البنية الإسلامية ، فالمسألة بكل صيغها وتصوراتها المختلفة تمثل بُعداً خطيراً في منظومة الفكر الإسلامي وهذا يفرض الحاجة إلى معالجة موضوعية جادة من أجل بلورة رؤية واعية حول مفهوم الإمامة . . .

ثانياً : الصعيد السياسي :

إنّ مسألة الإمامة تجسّد في أهم أبعادها المضمون القيادي بما يحمله من دلالات سياسية خطيرة ، وإنّ إغفال مفردة هامة كمفردة الإمامة يحدث خللاً واضحاً في الرؤية السياسية ، وبالتالي يحدث خللاً في الرؤية الإسلامية العامة ، فلا بد من إستيعاب هذه المسألة لإنجاز المضمون الإسلامي الشامل بكل مفرداته العقائدية والفكرية والأخلاقية والإجتماعية والسياسية .

ثالثاً : الصعيد التاريخي :

إنّ مسألة الإمامة تدخل في صميم البحث التاريخي وضمن مفرداته الأساسية ، فالرؤية التاريخية الموضوعية لكي تعالج المسألة التاريخية وهي مسألة خطيرة على مستوىٰ حركة الرسالة والدعوة والأمة ، يجب أن تستوعب كل الأحداث والملابسات السياسية والإجتماعية التي تفاعلت في داخل الساحة الإسلامية في مرحلة من أخطر مراحل المسيرة والتي تتمثل في مقطعين تاريخيين هامين : عصر الرسالة ، وعصر الخلافة في الفترة التاريخية التي تلت عصر الرسالة مباشرة حيث شكلت هذه الفترة المخاض العسير الذي أنجب أخطر المعطيات السياسية والإجتماعية في مسيرة الأمة .

رابعاً : الصعيد التشريعي :

إنّ مسألة الإمامة لا تتجمد في الموقع التاريخي بل تتفاعل مع الحركة التشريعية في منطلقاتها التاريخية وفي امتدادتها العملية المتلاحمة مع المسيرة في كل أشواطها ، تمنحها الرؤية الشرعية في مواجهة كل المستجدات والمتغيرات ، وترشّد خطواتها على كل المستويات الفكرية والفقهية والإجتماعية والسياسية .

(٤) إنّ إثارة مسألة التشيع علىٰ مستوى الدراسات والبحوث حاجة علمية تواجه الفراغ الفكري التي عاشته أجيال الأمة حول هذه المسألة ، هذا الفراغ الذي ترسخ في ذهنية الأمة من خلال :

- الإنحسار التاريخي للحالة الشيعية على المستوى القيادي .
- التطويق الفكري والإعلامي .
- الحصار السياسي .

وأمام هذا الإختناق الفكري الذي فرض حول مسألة التشيع يتحتم تنشيط الفعاليات العلمية والثقافية الجادة لملء الفراغات الكبيرة في ذهنية أجيال المسلمين مع التأكيد على ضرورة التوافر على الروح العلمية الموضوعية في معالجة هذه المسألة .

(٥) الحديث عن الهوية الإنتمائية الخاصة يؤكّد المنحىٰ الذي إعتمده الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في تعاملهم مع القضية الإسلامية حيث تحركوا ضمن مسارين :

المسار الأول :

تأصيل خط الإمامة بكل ما يحمله من مفاهيم وأفكار ، وأهداف وتوجهات وخصائص ومميزات .

المسار الثاني :

تأصيل الحالة الإنتمائية العامة من خلال التأكيد علىٰ العناصر المشتركة التي تشكل مرتكزات الوحدة في داخل الأمة .

وبالتالي فإنّ معالجة مسألة الإمامة لا تعبر عن نزعة مذهبية ضيقة ، ولا تشكّل حالة من التنافي مع المشروع التوحيدي في حركة الأمة ، فالمسألة في منحاها الأصيل تجسّد المضمون الإسلامي بكل دلالاته ومعطياته . وبكل مرتكزاته ومقوماته ، وخصائصته ومميزاته . . .

إنّ فكرة الدراسة التي بين أيدينا تتجه إلى بلورة وعي توحيدي يعتمد الوضوح في الرؤية ، وإزالة كل الإشكالات التي تعقّد حالة التلاحم الفكري والنفسي والعملي في مسيرة الأمة . . .

إنّ الجهود التوليفيه والتوفيقيه التي لا تعتمد الوعي والفهم والبصيرة لا يمكن أن تنجز مشروعاً توحيدياً أصيلاً يحمل مقومات البقاء والثبات ، ويواجه مخططات التجزءة والتفريق .

خطة البحث :

وأما خطة البحث فتشتمل على : مقدمة ، وثلاثة أقسام ، وخاتمة . . .

(١) المقدمة :

وتناولت هدف البحث ، وموضوعه ، وأهميته ، والأسباب التي تقف وراء إختياره ، والخطة المعتمدة في إنجازه . .

(٢) القسم الأول :

ويعالج مسألة التشيع في نشوئه ومراحله وذلك من خلال ثلاثة فصول . . . . .

يتناول الفصل الأول الآراء والتفسيرات التي حاولت أن تؤرخ للظاهرة الشيعية في نشوئها وولادتها والعوامل والاسباب التي أنتجت تلك الظاهرة .

ويتناول الفصل الثاني الرؤية التي يتبناها البحث حول نشوء التشيع ومراحله ، التي تجسّدت في :

أ ـ مرحلة التأصيل والتجذير .

ب ـ مرحلة التجسيد والتطبيق .

ج ـ مرحلة الوضوح والإمتداد .

ويتناول الفصل الثالث مسألة الإمامة وهي العقيدة التي تنتظم قضية التشيع . . . وعالج هذا الفصل مسألة الإمامة من خلال النصوص والأحاديث . وقد تضمن الفصل مبحثين أساسيين :

المبحث الأول :

يدوّن نصوص الإمامة ، ويضعها ضمن ثلاث منظومات رئيسية :

ـ المنظومة الأولى : النصوص المباشرة . . .

ـ المنظومة الثانية : الدلالة الإلتزامية . . .

ـ المنظومة الثالثة : المؤشرات العامة . . .

المبحث الثاني :

يعالج موقف مدرسة الخلفاء من نصوص الإمامة ويناقش هذا الموقف على مستويين :

الأول : مستوى صحة النصوص . . .

الثاني : مستوى دلالة النصوص . . .

(٣) القسم الثاني :

يبحث هذا القسم دور الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة ويضم هذا القسم فصلين :

الفصل الأول : يتناول التغييرات الطارئة في الصيغة الإسلامية والمتجسّدة في المجالات التالية :

ـ العقيدة .

ـ التفسير القرآني . .

ـ السنة النبوية . .

ـ التاريخ الإسلامي . . .

الفصل الثاني : يتناول الأدوار التي مارسها الأئمة من أهل البيت (ع) في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة وذلك من خلال المستويات التالية :

أ ـ المستوىٰ العقائدي .
ب ـ المستوىٰ الروحي .
ج ـ المستوىٰ السياسي .
د ـ المستوىٰ التشريعي .

(٤) القسم الثالث :

ويعالج أبرز المستويات التي تكوّن المقوّمات الأساسية للحالة الشيعية . . . . ويتناول هذا القسم ثلاث مستويات رئيسية ضمن ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المستوى العقائدي .

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : المستوى العقائدي العام ويتناول الأصول العقائدية العامة : التوحيد ، النبوة ، المعاد . . .

المبحث الثاني : المستوى العقائدي الخاص ويتناول عقيدة الإمامة من خلال النصوص التي حددت عدد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام . . .

الفصل الثاني : المستوى الروحي :

ويتناول هذا الفصل مبدأ «الولاء لأهل البيت» من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تأصيل المبدأ الولائي لأهل البيت (ع) .

المبحث الثاني : الدلالات الكبيرة لمبدأ الولاء .

المبحث الثالث : المضمون الحقيقي للولاء .

الفصل الثالث : المستوى العملي .

ويتناول المضمون العملي الذي تجسّده الحالة الشيعية في الإلتزام بنهج الأئمة من أهل البيت (ع) .

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : النهج القيادي . .

المبحث الثاني : النهج السلوكي . .

المبحث الثالث : النهج الفقهي .

(٥) الخاتمة : نتائج البحث

وهي عبارة عن تلخيص وتكثيف لموضوعات البحث الأساسية ، واستخلاص بعض الإستنتاجات المهمة .

مصادر البحث والدراسة :

وفي معالجة أفكار هذا البحث والدراسة حاولنا جهد الإمكان إعتماد النص الإسلامي في مرافده الأصيله :

- القرآن الكريم .
- السنة النبوية .
- أحاديث الأئمة من أهل البيت (ع) .

وحاولنا كذلك بقدر ما أمكن التوافر عليه الرجوع إلى مصادر الحديث المعتمدة عند علماء المسلمين . . . .

فمن المصادر المعتمدة عند علماء مدرسة أهل البيت رجعنا بشكل أساس إلى :

- «الكافي» لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) .
- «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» للمحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة (١١٠٤ هـ) .

ومن المصادر المعتمدة عند علماء مدرسة الخلفاء رجعنا إلى :

- «صحيح البخاري» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة (٢٥٦ هـ) .
- «صحيح مسلم» لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري المتوفي سنة (٢٦١ هـ) .
- «الجامع الصحيح» لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة (٢٩٧ هـ) .
- «سنن ابن ماجه» لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه المتوفى سنة (٢٧٥ هـ) .
- «مسند أحمد بن حنبل» لأبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفى سنة (٢٤١ هـ) .
- «المستدرك على الصحيحين» لأبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٥ هـ) .

ومصادر أخرىٰ كثيرة في الحديث ، والتفسير ، والسيرة والتاريخ ، والفقه واللغة . . . .

والله نسأل أن يمنحنا التوفيق والسداد ، وأن يرشدنا إلى ما يحبه ويرضاه ، وهو ولي التوفيق .

السيدة زينب (ع) ـ دمشق — غرة ذي القعدة ١٤١٠ هـ

عبد الله الغريفي